في الدين

في سورة النور

للعلامة الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري

(الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية.

بين الله في هذه السورة أحكام الزانية والزاني وجلدهما ، وبين حكم من رمى زوجته بالزنا وعقابه ؛ وبين حكم الملاعنة وكيف يتفرق الزوجان بها ، ثم قصة الأفك وكيف خاض الناس فيه ، وجعل هذا الحديث كحديث مريم ابنة عمران في عفتها وأنها أحصنت فرجها ثم أبان كيف يجب أن يعفو الإنسان عمن ظلمه كما امتثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعفا عن مسطح ؛ ثم أمر الرجال والنساء بغض الأبصار ، وحرم عليهن أن يظهرن زينتهن لغير المحارم ، ثم بين حكم النكاح والمكاتبة تكثيرا للنسل في الأول ، وحفظاً للفرج وعتقا للعبيد الذين هم عباد الله ، وبين أنه يجب أن ينفق من المال في سبيل العتق ، فإن المال مال الله ، والخلق عباده فتحا لباب الحرية ؛ لأن نبينا عليه الصلاة والسلام أرسل رحمة للعالمين ومن رحمته لهم أن يكون دينه فتحا لباب الحرية ، وإطلاق العبيد من رقهم ، ثم ختم ذلك بأن هذه آيات مبينات ومواعظ للمتقين ، ولما كانت هذه الأحكام إنما أتى بها لتعليم الأخلاق والآداب ، وحفظ المجتمع مما يقوض دعائمه ، وتقويته بما يكثر النسل فيه وكان ذلك مقدمات لما هو أعلى مراما وأجل وأعظم — وهي المعارف والعلوم — أردفه بقوله : « الله نور السموات والأرض » — كأنه تعالى يقول : أيها الناس لا تلهكم الأحكام الشرعية عن الحلال والحرام ، وأحكام الزنا والنكاح والقذف ، عن ذكر الله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، كما قال في آية أخرى « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » . فههنا كأن الله يقول :

لا تلهكم أحكام النكاح والقذف والعتق وحده ، والزنا وعقابه ، عن عظائم الأمور وجلائلها . أيها الناس ارفعوا رءوسكم إلى أعلى . انظروا إلى جمالي ونوري في شمسي وفي قمري ، وفي النبات والزهر والنهر ، أنا لم أخلقكم في هذه الأرض لتسكونوا فيها خالدين

وإنما خلقتكم لتعيشوا آمنين أمداً ، ثم أنقلكم إلى دار أجمل من هذه ، ولن تنالوا تلك الدار الجميلة إلا إذا نظرتم جمالى ، وفهمتم بعض حكمى ، وابتدأ ذلك بقوله :

« الله نور السموات والأرض . . . » الآية .

وقد جعل الله هذا المثل — مثل نوره — نبراساً للعوالم المشرقة ، ضربه بما نشاهد كل يوم فى مساجدنا ، يقول : أى عبادى ، أتريدون أن تعرفوا حكمتى فى خلقى ؟ انظروا القناديل المعلقة فى مساجدكم ، انظروها ، ألا ترون أنبوبة فيها زيت أحاطت بها زجاجة ، اشتعلت فيها نار ، فأضاءت المساجد وأنتم تصلون فيها ، فهذا نظام مركب تركيباً أنتج هذا النور الذى أشرق على أبصاركم ، فأضاء لكم مساجدكم ، هكذا نورى المشرق فى عجائب خلقى ، وهنا أخذ الناس يفكرون فى ذلك التمثيل ، فقوم خصصوه ، فقالوا ذلك تمثيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقوم قالوا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقوم قالوا ذلك لكل مؤمن فعمموا ، وقوم قالوا كلا . بل لكل إنسان (أى لقواه الدراكة) وقوم قالوا لقواه العاقلة ، وقوم قالوا هو للقرآن .

اختلفت أنظار العلماء فى هذا التمثيل على مقدار هممهم ، ومقتضى نظرهم ومقامهم فى العلم ، فمن كان لا يعرف إلا الأعيان قال به ، ومن كان مغموراً فى النبوة قال بها ، ومن كان ذا نظر فى السموات والأرض والعالم ، عمم المثل ، فتارة أرجعه لنفس الإنسان ، وتارة لقواه الدراكة أو العاقلة — وهذا أعم الأقوال — لأن الإنسان يشمل الأنبياء والإيمان القائم بالقلوب .

واعلم أن هذا المثل اللفظى الذى جعل لعجائب أجسامنا وعقولنا وإدراكنا أشبه بما نصبه الله فى الأرض من الأجسام الإنسانية ، إذ أحكم صنعها ، ونظم أعضاءها ، وخلق وسوى ، وقدر وأحكم ، فجعلها العلماء تمثيلا لأمور هى :

أولا : كالسفينة تركبها الروح فى بحر الحياة اللجى ، حتى تصل إلى شاطىء الموت .

ثانيا : أو كالدار فيها السكان المختلفون من القوى الدراكة ، وأعضاء الحس والحركة والهاضمة والمصورة والغاذية ، وما أشبه ذلك ، وفيها أمتعة كالصفراء والدم والبلغم ونحوها .

ثالثا : أو كاللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتتعلم ، حتى إذا علمت ما تطيقه رمت باللوح وراحت إلى ربها ، كما أن الطفل يقرأ فى اللوح ويتعلم ، حتى إذا عرف القراءة المطلوبة ، ترك اللوح وذهب إلى ما يريد .

رابعا : أو كالمدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها .

خامسا : أو كالدكان والروح صاحبها ، والأعضاء الباطنة متاعها ، والأعمال تجارتها والربح والخسارة فى آخرها ، هكذا هذا المثل ، وهو قنديل المسجد .

* * *

الوجه الأول : — القول بأن التمثيل لمحمد عليه الصلاة والسلام فالمشكاة صدره ، والزجاجة قلبه ، والمصباح فيه النبوة ، توقد من شجرة مباركة هى شجرة النبوة ، يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمره يتبين للناس ، ولو لم يتكلم به أنه نبى ، كما يكاد ذلك الزيت يضىء ولو لم تمسسه نار .

الوجه الثانى : — القول بأن التمثيل لأبراهيم عليه السلام — المشكاة جوف محمد عليه الصلاة والسلام ، والزجاجة قلبه ، والمصباح هو النور الذى جعله الله فيه « لا شرقية ولا غربية » — لا يهودى ولا نصرانى — « توقد من شجرة مباركة » — وهو إبراهيم عليه السلام — « نورٌ على نور » نور قلب إبراهيم ، ونور قلب محمد ، عليهما الصلاة والسلام وهذان الوجهان متقاربان .

الوجه الثالث : — القول بأن التمثيل لكل مؤمن — فالمشكاة نفسه ، والزجاجة قلبه والمصباح الأيمان فى قلبه ، والقرآن يوقد من شجرة مباركة هى شجرة الأخلاص لله وحده وهذا التمثيل وإن كان أعم مما قبله ، فهو قاصر على قوم مختصين .

الوجه الرابع : — إن هذا التمثيل لما منح الله به عباده من القوى الداركة الخمس : وهى الحساسة التى تدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس ، والقوة الخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العاقلة متى شاءت ، ثم العاقلة التى تدرك الحقائق الكلية وتستنتج ، ثم القوة القدسية التى تتجلى فيها لوائح الغيب الخاصة بالأنبياء .

فهذه مثل لها بالمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت . ألا ترى أن المشكاة يعنى الكوة ، قد شابهتها بعض الحواس التى قد وضعت فيها ، ووجهها إلى الظاهر ولا تدرك ما وراءها ؟ كالعين فأنها لا تدرك ما خلفها ، ولكن تدرك ما أمامها ، ثم إنك تعلم أن الأنسان إذا أدرك المحسوسات وصورت فى نفسه ، صارت فى القوة الخيالية : كما يحس به كل إنسان ، فأننا إذا أغمضنا أعيننا ، فأننا ندرك فى أنفسنا تلك الصور التى رأيناها فهذه القوة التى حفظت تلك الصور نسميها الخيالية ، فهى كالزجاجة تقبل صور المدركات وتضبطها ، ثم إن قوتنا المفكرة أكبر من هذه القوة الخيالية ، فأن هذه القوة الكامنة فينا ، تتصرف فى الصور التى فى قوة الخيال ، فنقول هذا حسن وهذا قبيح ، وتستنتج فهى كالمصباح . فأما القوة العاقلة ، فهى كالشجرة المباركة ، لأنها تؤدى إلى ثمرات لا نهاية لها ، فأما كونها زيتونة لا شرقية ولا غربية ، فذلك أنها تجرد المعانى عن الصور وتخترع القضايا الكلية التى لا تخص شيئا بعينه ، أى لا تتقيد بالجزئيات . فأذا أدركت

تمكنت من استحضارها متى شاءت . فهى كالمصباح . فإذا استحضرها كان نوراً على نور . كالتى يكاد زيتها يضىء ؛ فإنها تكاد تعلم وإن لم تتصل بها العلوم فإن اتصلت بها العلوم اتجهت للأنوار ؛ ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة الزيتونة ؛ أو بالحدس بالزيت ، أو بقوة قدسية الكل أكبر من الجزء . وأن الشيئين المساويين لشىء واحد متساويان ، فلم يكن هذا المعنى خاصا بشىء دون شىء ؛ فهو لا شرقى ولا غربى بل هو عام . فأما الزيت فهو كالقوة القدسية الخاصة بالأنبياء ؛ فهى لشدة صفائها تكاد تضىء بالمعارف من غير تعليم ولا تفكر .

الوجه الخامس : — إن هـذا تمثيل للقوة العاقلة وحدها ؛ فهى فى بدء أمرها خالية من العلوم ، ثم تنتقش فيها العلوم بالحواس الخمس ؛ فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها

الوجه السادس : — قال ابن عباس : « هذا نور الله وهداه فى قلب المؤمن ، كما يكاد الزيت الصافى يضىء قبل أن تمسه النار ؛ فإذا مسته النار ، ازداد ضوءاً على ضوئه ، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ، ازداد هدى على هدى ونوراً على نور .

هذه هى الوجوه هى التى ذكرها العلماء . وأنت ترى أن الآية صالحة لها جميعها ؛ لأن الأنبياء ونوع الإنسان والعقول كلها تشابه تلك القناديل المعلقة فى المساجد ؛ وكأن الله يقول لعباده بهذا المثل : انظروا إلى هذه القناديل المعلقة فى مساجدكم التى نورت أرضها وحيطانها . هكذا أنا أنرت قلوبكم وقلوب أنبيائكم ، وعقولكم وحواسكم ، وأنعمت عليكم بنعمة الحواس والخيال والعقل والقوى المدركة ؛ فإبراهيم ومحمد والمؤمنون ونوع الإنسان وحواسكم ، وعقولكم وقواكم العاقلة . كل هذه أنوار مثلت لها بهذه القناديل ؛ إنى نور السموات والأرض ، أنرت السموات بالكواكب والشموس ، وأنرت السبل والطرق بالنجوم وجعلتها علامات لكم ، وجعلت كل شىء بحساب ونظام ، وجعلت هذا القنديل مثالا لكم وأنتم تصلون فى مساجدكم ، فبهذا القنديل أذكركم بنورى فى سمواتى بالكواكب والشموس والأقمار ، وهو مثال أيضاً للأنوار المشرقة فى نفوس أنبيائكم ؛ كمحمد وإبراهيم ، وقواكم العاقلة والحاسة والخيالية ، وعجائب نفوسكم ، إلى مشرق فى العالم العلوى والسفلى .

ومن عجب أن هذه الكرة الأرضية تتخللها الكهرباء وتحيط بها من كل جانب ، وهذه يصح أن يقال فيها — على سبيل التمثيل — يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، وهى ليست شرقية ولا غربية ، وهذه من عجائب القرآن .

* * *

انظر إلى نظم القرآن وعجائبه فى هذه الآية : « الله نور السموات والأرض » — وانظر

كيف أتى بعد آيات العتق والنكاح والقذف والملاعنة بآيات النور ، يقول الله أيها المسلمون إياكم أن تشغلكم أحكام الشرع ؛ وإقامة الحدود ، ونظام الأسرات والزواج والعتق والمكاتبة ، وأحكام الحرام والحلال ، عن النظر إلى عجائب خلقي ، إياكم أيها المسلمون أن يصرفكم صارف عن عجائب صنعي . إياكم أن يصدكم علم الفقه عن علم الكائنات . انظروا إلى السراج الموضوع أمامكم فى كوة المسجد ، انظروا إن سمواتى فيها سرج من الشموس والأقمار والسيارات إن عقولكم فيها سراج ، إن دينكم سراج ، إن أنبياءكم سرج ، إن المؤمنين سرج ، إنى أضأت كل شيء بأنوارى وعلومى ظاهراً وباطناً ، إن مساجدكم يسبح فيها قوم بالغدو والآصال ، فلا تلهيهم تجارة ولا بيع ، هكذا لا يشغلكم ما تقدم من علم الفقه عن النظر إلى عجائب صنعى ، فسبحان المبدع الخلاق !؟

الشجاعة

ليست الشجاعة بالشيء الهين الذى يستطيع أن يناله كل إنسان . فكثير من الناس تراهم قد أطلقوا لشهواتهم العنان . فراحوا يتقلبون فيما يظنون أنه نعيم وما هذا إلا لأنهم فقدوا شجاعتهم النفسية ، ولو وجدت لوقفت حجر عثرة فى سبيل شهوتهم وانغماسهم فى الملذات هذا الانغماس المزرى المشين .

وقليل من الناس من علائم الشجاعة فيبتعدون عن ملاحم السوء ، وهؤلاء فى حرب ضروس دائم بينهم وبين أنفسهم أشد إيلاما من حرب السيوف والنيران .

ولست أسوق لك مثلا للشجاعة أكثر مما قاله سيدنا عبدالله بن عبد المطلب والد المصطفى صلى الله عليه وسلم حين رأته المرأة الأسدية (رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل) لقد شغفت به وطلبته لنفسها فى غير هوادة لعلها تحمل بسيد المرسلين وصفوة الخلق تتبوز بالسعادة وتصبح ربة الحول والسلطان — قال :

أما الحرام فالحمام دونه والحل لا حل فأستبينه
ولا سبيل للذى تبغينه يحمى الكريم عرضه ودينه

احمد على نجيب
بمدرسة أولاد بدر

التجوز في القرآن الكريم

للأستاذ السباعي بيومي المدرس بدار العلوم

وردت أنواع المجاز كله فى القرآن الكريم بكثرة وابتكار ، وهذى كلمة عن كل نوع :

١ – المجاز الاستعارى : فالمجاز الاستعارى وهو المبنى على التشبيه جاء فيه بالكثرة التى عليها التشبيه نفسه ؛ قال تعالى فى استعارة الموج للجلبة والتلاطم : « وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض » والمرأة التى لاتلد للريح غير اللاقحة : « إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » والسلخ لخروج النهار من الليل : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » واشتعال النار للشيب يلتهم السواد : « واشتعل الرأس شيبا » إلى غير ذلك من الاستعارات المحسوسة الطرفين . وقال فى استعارة القذف والدمغ للتسلط والقهر : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » والمس للنيل والزلزلة للازعاج . « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » والصدع للجهر بالدعوة : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » والنبذ للإهمال : « فنبذوه وراء ظهورهم » والأودية لمقاصد الشعراء : « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون » والظلمات للكفر والنور للإيمان : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » إلى غير ذلك مما استعير فيه محسوس لمعنوى . وقال فى استعارة الرقاد للموت : « من بعثنا من مرقدنا » والسكوت للزوال « ولما سكت عن موسى الغضب » والقدوم للجزاء بعد الإمهال : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » إلى غير ذلك من استعارة المعنوى للمعنوى . أما استعارة المعنوى للمحسوس فلم يك يقدم عليها إلا إذا جاء وجه الشبه فى بعض المعنويات أقوى منه فى بعض الحسيات على خلاف المتعود المعروف ؛ ومن ذلك قوله فى استعارة الطغيان لزيادة الماء : « إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية » والعتو لشدة الريح : « فأهلكوا بريح صرصر عاتية » وليس من شك فى أن إحساس الناس بطغيان الطاغى وعتو العاتى أشد إيلاما لنفوسهم وهم له أكثر خوفاً من الزيادة فى الماء والشدة فى الريح .

ولقد كان القرآن يعنى بالترشيح فى الاستعارة لما فيه من تقوية الحمل وتعزيز المعنى قال : « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لايبصرون » وقال : « إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميز من الغيظ » وقال : « وفتحت السماء فكانت

أبوابا" وسيرت الجبال فكانت سرابا » وقال : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وقال « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » ولم يقف عن حد التخيل فى الترشيح ، بل جاءت فيه استعارات مبنية كلها على التخيل لاستحالة التشبيه فيها على سبيل التحقيق كما فى قوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » وقوله : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » وقوله : « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » إلى غير ذلك من آيات الصفات المناظرة لصفات الأحداث ، وإنما لم يحسن تخريجها على التجوز الأرسالى لأن مبناه كما سيأتى على غير التشبيه ، فهذا موطن الفرق ومحل الخلاف بين أمثال هذه الآيات وبين المجاز المرسل من جهة ، ثم بينها وبين الاستعارات التحقيقية من جهة أخرى . وكثيراً ما كان يتساق فى باب التخيل حتى يكون الكلام فى مجموعه مثلا مضروبا وقصة متخيلة مقطع النظر عما يداخله من استعارات جزئية ، فمن ذلك قوله تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » وقوله : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » إلى غير هذين من قصصه التخيلية الكثيرة التى كانت تستغرق الواحدة منها أحيانا الكم الكبير من الآيات . وللقرآن افتنان فى الاستعارة التهكمية وهى التى تستعمل فيها الألفاظ الدالة على المدح والتكريم فى نقائضها من الذم والتهجين كما فى قوله « خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم » وقوله : « فبشرهم بعذاب أليم » وقوله : « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » إلى غير ذلك .

٢ — المجاز الأرسالى : هو ما لم يبن على التشبيه ولم يقل دورانه فى القرآن الكريم عن المجاز الاستعارى ، فهو فيه كثير الأمثلة متعدد الأنواع إلى درجة بلغت علاقاته فيها نحو الأربعين .

فمنه إطلاق الكل على الجزء وعكسه نحو : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » : « فولوا وجوهكم شطره » ومثل هذين وصف الجزء بصفة الكل والعكس مثل : « ناصية كاذبة خاطئة » ، « ولملئت منهم رعبا » ومنه إطلاق الخاص على العام وعكسه مثل : « أنا رسول رب العالمين » أى رسله « يستغفرون لمن فى الأرض » بدليل « ويستغفرون للذين آمنوا » وبدليل « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى

من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم » ومنه إطلاق المسبب على السبب وعكسه نحو « قد أنزلنا عليكم لباسا » ، « وما كانوا يستطيعون السمع » وقد يتركب سبب على سبب نحو « فأخرجهما مما كانا فيه » لأن المخرج هو الله للأكل من من الشجرة الناشىء عن وسوسة الشيطان . ومنه تسمية الشيء باعتبار ما كان أو ما يكون مثل « فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » و « فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » ومنه تسمية الحال باسم المحل والعكس مثل « فليدع ناديه » و « إذ يريكهم الله فى منامك قليلا » على معنى الرؤية البصرية أى فى عينك وقد اجتمعا فى قوله تعالى : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » أى ما تتزينون به عند كل صلاة ، وكذا منه تسمية الشيء باسم آلته نحو « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » وإطلاق الفعل والمراد مقاربته نحو « فإذا بلغن أجلهن » أى قاربنه وبذلك يندفع ما يعترض به على قوله « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » من أنه لا معنى للتأخير والتقديم إذا جاء الأجل لأن المراد فإذا اقترب أجلهم ، وكذلك إطلاقه والمراد ضده مثل « ما منعك ألا تسجد » أى ما دعاك ، على أن لا غير زائدة . ومنه قلب الاسناد نحو « ويوم يعرض الذين كفروا على النار » أى تعرض النار عليهم لأن المعروض عليه هو العاقل . كما أن منه أيضا إقامة صيغة مقام أخرى كالمصدر مقام فاعل أو مفعول والعكس فيهما مثل « إن أصبح ماؤكم غورا » ، « لا يحيطون بشيء من علمه » و « ليس لوقعتها كاذبة » و « بأيكم المفتون » على أن الباء غير زائدة ، وكفاعل مقام مفعول والعكس مثل : « جعلناه حرما آمنا » و « إنه كان وعده مأتيا » وكواحد من المفرد والمثنى والجمع مقام آخر منها نحو « والله ورسوله أحق أن يرضوه » و « إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا » و « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » « ثم ارجع البصر كرتين » و « قال رب ارجعون » و « قالتا أتينا طائعين » والماضى على المستقبل وعكسه نحو « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله » و « ويقول الذين كفروا لست مرسلا » .

والخبر مقام الانشاء والعكس نحو « المطلقات يتربصن » ، « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » ، بعض أنواع الخبر مكان بعض خلافاً للظاهر نحو « ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون » فقد نزل فيه الخالى منزلة السائل ، وبعض أنواع الانشاء مكان بعض نحو « فهل أنتم منتهون » أى انتهوا ، وجمع القلة مكان جمع الكثرة والعكس نحو « وهم فى الغرفات آمنون » ، والمذكر فى موضع المؤنث والعكس نحو « وأحيينا به بلدة ميتا » ، « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

ومن هذا المجاز أيضاً يأتي واسمان مما التضمين ويكون في الحروف والأفعال والأسماء نحو « عيناً يشرب بها عباد الله » أي يروى بها أو يشرب منها ، « حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق » أي حريص عليه ، ثم التغليب ويكون لكل ماهو ذو مزية على سواه نحو « إلا امرأته كانت من الغابرين » للمذكر على المؤنث ، « بل أنتم قوم تجهلون » للخطاب على الغياب وغير ذلك مما لا داعي إلى الأطالة فيه بعد الذي قدمناه :

٣ — المجاز العقلي : والتجوز فيه عقلي بالاسناد ، لا لغوي في المفردات كما في المجازين السابقين ، وهو صالح لأن تخرج عليه كثيراً من أمثلتها ولا سيما المرسل منها إذا أبقينا الألفاظ على حقائقها وتجوزنا في الاسناد دونها ، ولهذا كان كثير الوقوع في القرآن أيضاً ، ومنه قوله تعالى : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها » وقوله « وأخرجت الأرض أثقالها » وقوله « فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه » لأن الأرض لا تأخذ ولا تخرج والجدار لا يريد إلى نحو هذا مما طرفا الاسناد فيه حقيقتان . على أنه يوجد من المجاز العقلي في القرآن ما الطرفان فيه أو أحدهما من المجاز اللغوي كما في قوله « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » أي فما ربحوا في تجارتهم وهذا هو التجوز العقلي ثم الربح والتجارة مع ذلك مجازان لغويان . وكما في قوله : « تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » لأن الدعاء من النار بمعنى الجمع مجاز لغوي وإسناد الجمع إليها مجاز عقلي ، وكما في قوله : « فأمه هاوية » إطلاق الأم على الملجأ والكفالة تجوز لغوي ، والأخبار عنها بالهاوية مجاز إسنادي والشواهد عليه من القرآن كثيرة ، ولسنا في حاجة إلى تعدادها بعد أن بينا إمكان تطبيق الكثير من أمثلة المجازين السابقين عليه وبخاصة المرسل منها .

خير زينة

جلست سيدة رومانية مع نساء الأشراف ، فأخذن يتفاخرن بكثرة حليهن وحللهن وهي ساكتة هادئة ، فقلن لها : مالنا لانرى عليك من زينة ؟ فنادت ولديها — وكانت قد ربتهما أحسن تربية حتى كانا مثال الأدب والكمال — ثم قالت لهن : (هذان زينتي وحليي) فرضين بهذا الجواب وودذن لو كن مثلها ، وإن لم يكن لهن حلل ولا حلي — فأن في حسن التربية مايغني عن الزينة والمال وينيل صاحبه غاية الآمال ؟

محمد احمد غانم

(كفر الشيخ)